وظّفت، ببساطة مفرطة، منذ اربعين عاماً، لكي يصبح داوود هو اسرائيل وجوليات هو العرب!

يسترعي النظر ان ملمحي العنف يشكلان القاسم المشترك الاكثر بروزاً في مختلف هذه المصادر الفكرية، على الصعيدين، العسكري والمدني، بجرعة زائدة من الجنوح الى العنف والبطش، متفوقة في ذلك على نماذج الاستعمار بجميع أنواعه. وبكلمات اخرى، يلاحظ ان العنف الموجّه الى الآخرين في هذا النموذج هو عنف مبرر، ليس فقط بحكم الطبيعة الاستعمارية الاستيطانية لأسرائيل، وانما، كذلك، بحكم المنهج التاريخي الديني لهذا الكيان؛ اذ من سوف يحول دون بلوغ «الرب» لارادته؟!

ولقد تحددت أهداف المؤسسة العسكرية الاسرائيلية، سواء في مرحلة «اليشوف» أو الدولة، بشكل يستلهم هذا الاطار الفكري ويدور في فلكه. كانت الاهداف هذه، في مرحلة اليشوف، تدور حول حراسة المستوطنات والمستوطنين ورعاية جهود الحركة الصهيونية (والوكالة اليهودية) في غرسها؛ وبصفة عامة انصبت الاهداف هذه على حماية الواقع الاستعماري الصهيوني الجديد في فلسطين[١١]. و لا يبدو ان قيام الدولة قد احدث تغييراً جوهرياً في الاهداف هذه كما حددها كل من آباء المؤسسة العسكرية، وفي مقدمهم بن ـ غوريون، وقانون الخدمة العسكرية لعام ١٩٤٩؛ وهي: صنع المواطنين والمساعدة في دمج المهاجرين الجدد في المجتمع؛ وضمان التفوق النوعي، بالنظر الى ضآلة حجم السكان؛ والاهتمام بخلق الشباب الطليعي المحارب[١٢]؛ هذا فضلاً عن الوظائف غير التقليدية المنوطة بهذه المؤسسة، مثل تأمين تحقيق أهداف المشروع الصهيوني، وعلى رأسها التوسع والسيادة الاقليمية وضمان التفوق على قوة العالم العربي بأكمله.

ومما يثير الدهشة، الاستمرارية الواضحة في طبيعة الاهداف التي تسهر عليها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية، على الرغم من التغير «البنائي» الذي لحق بها، وذلك بانتقالها من عصابات مسلحة قبل العام ١٩٤٨، الى اطار تنظيمي يتمثل في جيش موحّد منذ ذلك العام. وهي دهشة سرعان ما تزول عند الاطلال على هذه الاهداف في ضوء العقيدة العسكرية الاسرائيلية، ومضمون المصادر التي افرزتها، وفي ضوء الطبيعة الخاصة للمجتمع الاسرائيلي، ككيان استيطاني يقوم بالقوة في محيط غريب ومقاوم (فلسطينياً وعربياً). فالمشروع الصهيوني لم يعدل أهدافه، ولم يغير من طبيعته، مما يجعل من استمرارية وظائف مؤسسته العسكرية ضرورة حياة ووجود.

ان تغير اهداف ووظائف المؤسسة العسكرية الاسرائيلية، لا بد ان يستتبع احدى ظاهرتين. الاولى، ان تتغير طبيعة الكيان الاسرائيلي ذاته، وبصفة خاصة تلك الطبيعة المتصلة بالعقيدة الصهيونية؛ والثانية، ان يتم قبول المحيط العربي بالوجود الاسرائيلي؛ ومن الواضح ان أياً من هاتين الظاهرتين لم تتوفر بعد، مما يبقي على «عنصر الامن» كهاجس دائم للعقل العسكري الاسرائيلي، ويبقي، في الوقت عينه، على المؤسسة العسكرية واهدافها، بحيث تمثل مركز القلب في الدولة، والدعامة الاساسية للحياة كلها.

المؤسسة العسكرية والتنشئة الاجتماعية

ليس ثمة نشاط اجتماعي، أو خدمي، في اسرائيل، الا ويغلّفه مظهر عسكري. تبدو صحة هذه الحقيقة عند متابعة ابعاد عملية التنشئة الاجتماعية، وبخاصة تلك الامور المتصلة بكل من نظام التجنيد العسكري ونظام التعليم، وعمليتي الدمج الاجتماعي والتربية الوطنية[١٣].